الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

📖 **قال المؤلف -رحمه الله-: وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ.**

بين الشيخ أنواع العبادة، والعبادة لها حقيقة في ذاتها ولها تعريف لمفرداتها فالعبادة في ذاتها تعني كمال المحبة مع كمال الخضوع، اما مفرداتها فعرفها شيخ الإسلام بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الإعمال الظاهرة والباطنة.

قال الشيخ: **وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ** . والدين يشمل هذه المراتب الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان، وسوف يأتي - إن شاء الله تعالى- فيما نستقبل من كلام المصنف مزيد بيان لهذه الألفاظ الشريفة الثلاثة، وبيان العلاقة بينها من عموم وخصوص، لكن ها هنا الشيخ -رحمه الله- دخل في ذكر بعض أنواع العبادة فقال: **ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ:** كم عد الشيخ -رحمه الله-؟ أربعة عشر معظمها عبادات قلبية، إن لم تكن كلها؛ وذلك لأن العبادات القلبية أشرف أنواع العبادات على الإطلاق، ذلك أن القلب هو ملك الجسد والأعضاء له جنود، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: [ألا وإن في الجسد مضغة — أ ي بقدر ما يمضغ الماضغ صغيرة بحجم قطعة اللحم - إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب]، فالقلب -أيها الإخوان- هو بيت الرب في العبد كما أن الكعبة هي بيت الرب في الأرض، هذا القلب هو أشرف ما فيه، فينبغي أن يحتوي وأن يضم أشرف ما عنده، وأشرف ما يمكن أن يكون عند العبد: هو العلم بمقتضى أسمائه وصفاته، وأن يتحرك هذا القلب لأداء وظيفته التي خلقها الله له، وللقلب وظيفتان:

- **وظيفة حسية مادية:** وهي ضخ الدم إلى الأعضاء، كما أن وظيفة العين الإبصار، ووظيفة الأذن السمع، ووظيفة اليد البطش والأخذ والتناول، ووظيفة القدم السعي.
- **وظيفة المعنوية:** هي العلم بالله، معرفته محبته خشيته التوكل عليه الرغبة إليه، فلهذا كان الموفق من عباد الله من يجعل قلبه مستودعًا لهذه المعاني الشريفة، إذا كان عندك في منزلك جواهر ولآلئ ووثائق وأشياء كريمة تحرص عليها أين تضعها؟ تضعها في أشرف موضع في البيت، لا تضعها - أكرمكم الله- في دورات المياه أو في أطراف المنزل، بل تضعها في قلبه ولبه، لا يليق بك أيها المؤمن أن تجعل قلبك ميدانًا للجاهلات والشهوات والشبهات و الغفلات والحقد والغل، كم من القلوب ما يكون يسرح فيه الشيطان جيئة وذهابًا، ويكون مزمارًا ووقودًا للحقد والغل وسوء الظن؟!، أعمر قلبك بما خلقه الله من أجله بالعلم بالله بمحبته بخشيته، هذه هي العبادة الحقيقية، فإذا أحسن قلبك أداء وظيفته انقادت له الجوارح، خفف نفسك إلى الطاعات، هان عليها مفارقة الشهوات، أحسست بطعم الحياة ووجدت عبقها الحقيقي، ولهذا كان الصالحون من عباد الله يعتنون بقلوبهم قبل عنايتهم بأعمالهم، يصلحون قلوبهم

أولًا بالعلم النافع بصفائها حتى تكون ناصعة لا يكون لله تعالى شرك فيها، فإليكم هذه المعاني العظيمة التي عد الشيخ -رحمه الله- سيذكرها واحدة واحدة.

قال: وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: ابتدأ الشيخ -رحمه الله- بأجل هذه العبادات وأبينها في الدلالة على العبودية ألا وهو الدعاء، فقال: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** ، المساجد تطلق على مواضع السجود أو آلة السجود التي هي أعضاء السجود، فمواضع السجود تسمى مساجد كهذا المكان الرحب الطيب الذي نحن فيه، وتطلق أيضًا المساجد على أعضاء السجود، الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المؤمن.

قال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾: وعبر بالسجود عن بقية الصلاة؛ لأنه من أشرف أركانها فأقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد، ولما كان شريفًا معبرًا عن كمال العبودية لله حيث يضع الإنسان أشرف ما فيه على الأرض خضعانا لله عز وجل؛ كان هو الموضع المناسب لدعاء رب العالمين، ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم]، قمن: يعني حري أن يستجاب لكم، فلهذا قال: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } [الجن: 18]** ، إذن يجب أن يصرف الدعاء لله وحده، فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد تلطخ بالشرك الأعظم المخرج عن الملة.

الدليل الثاني: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } [المؤمنون: 117]: تأمل {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا}، لاحظ إلهًا نكرة جاءت في سياق الشرط، والقاعدة: **"أن النكرة إذا جاءت في سياق الشرط فإنها تدل على العموم"**، أي: أي إله، وطبعًا إطلاق الإله على ما سوى الله عز وجل من باب حكاية الحال والواقع وإلا فأنه لا يستحق الألوهية إلا الله سبحانه وتعالى: { أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا } [الأنبياء: 43] سماها الله آلهة، لكنها آلهة بغير حق، الإله بحق: هو الله وحده، لا يمكن لأحد أن يكون إلهًا بحق إلا الله، فلهذا قال: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}: هذه الجملة – {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}-تسمى عند العلماء "صفة كاشفة"، ليست قيدًا، ما معنى هذا الكلام؟ أي ما في نوع من الآلهة عليه برهان، ونوع من الآلهة ليس عليه برهان، لا يوجد أبدًا برهان على ألوهية إله سوى الله عز وجل، إذن قوله: {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}: هذا صفة كاشفة؛ لأنه لا يمكن أن يوجد معبود سوى الله يقوم عليه دليل وبرهان مستحيل.

قال: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: هذه الجملة منطوية على معنى التهديد والوعيد، بدليل قوله: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}: ما هي حقيقة الفلاح؟ يعني من أعظم أسباب تحصيل العلم كما قال الله – عز وجل- : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق: 37] ؛ فإنما يُغتنم العلم بالإصغاء وإقبال القلب، الفلاح حقيقته الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب هذا هو الفلاح فلذا قال الله عز وجل: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}: إي والله؛ لأن مآل

الكافر إلى خسر، مآله أن يكون في الدرك الأسفل من النار، فدلت هاتان الآيتان على وجوب توحيد الله تعالى بالدعاء وعدم صرفه لغير الله تعالى.

وثنى الشيخ بذكر دليل من السنة، وهو الحديث المروي: [الدعاء مخ العبادة]، والواقع أن هذا الحديث فيه ضعف، وأصح منه إسنادًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: [الدعاء هو العبادة]، وأما حديث: [الدعاء مخ العبادة]، الذي رواه الترمذي وغيره فقد استغربه الترمذي، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه"، ويغني بحمد الله مما يدل على ذلك قول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر :60]، فسمى الله تعالى الدعاء عبادة، تأمل: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}، لم يقل: إن الذين يستكبرون عن دعائي؛ فدل ذلك على أن الدعاء عبادة، بل هو العبادة، بل هو في الحقيقية فعلًا لب العبادة، وذلك أن حال الدعاء يدل على افتقار العبد إلى خالقه واطراحه بين يديه وشعوره بكمال غنى الله تعالى وافتقاره واضطراره إليه؛ فلأجل ذا كان الدعاء هو العبادة، وكان صرف الدعاء لغير الله شركًا أعظم، فإذا رأيت من يدعو غير الله فاعلم أن قلبه معطوب، ما الذي حمل هذا الإنسان أن يدع الله الذي بيده الضر والنفع والمنع والإعطاء والعز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض ويلتفت إلى غير الله؟! لا شك أن هذا خلل عظيم وداء وبيل أن يبتلى الإنسان بهذا الأمر، وللأسف فإن الشيطان قد أضل فئام من بني آدم فحملهم على دعاء غير الله، وزين لهم ذلك؛ فصاروا يتخذون الأصنام على هيئات متنوعة، ويزعمون أنها وسائط بينهم وبين الله عز وجل، وأول ما ظهر ذلك في قوم نوح، فإن قوم نوح كانوا فيما مضى على التوحيد، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون، وخلال هذه القرون المتطاولة جعل الشيطان يفتل في الذروة والغارب على هؤلاء الناس حتى أنه زين لهم تعظيم بعض الصالحين من المتقدمين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا، وقال للناس: هؤلاء المدعوون لهم جاه عند الله ومنزلة فلو أنكم ذهبتم إلى المواضع التي كانوا فيها ونصبتم فيها أنصابًا حتى إذا رأيتموها نشطكم ذلك على العبادة وتذكرتموهم، وهذا مدخل لطيف كما ترون الشيطان لا يأتي للناس مباشرة، ويقول: أشركوا بالله، وإنما يتلطف في تسويق باطله؛ فزين لهم ذلك فصنعوا التماثيل ونصبوها في مواضعها، فلما اندرس ذلك الجيل وجاء جيل بعده أتى الشيطان إليهم، وقال: ادعوهم هؤلاء لهم جاه عند الله فادعوهم لكي يتحقق ما تريدون، فدعوهم من دون الله فوقعوا في الشرك الأعظم، فجاء نوح عليه السلام لهذا الغرض، ثم إن هذه الأصنام -والعياذ بالله- بعدما طمرها الطوفان واختفت، عاود الشيطان الكَرَّة حتى بعثت من جديد في جزيرة العرب، فأتى الشيطان إلى عمرو بن لحي الخزاعي - أول من أدخل الشرك في العرب- في المنام وقال له : ائت جدة تجد أصنامًا معدة، فذهب إلى الموضع الذي ذكر له الشيطان وكشف عن هذه الأصنام وبثها في الناس، فعاد الناس إلى دعاء غير الله عز وجل.

إذن من أعظم مراتب العبادة: الدعاء؛ فيجب أن يخلص العبد دعاءه لله رب العالمين، وألا يلتفت إلى غير الله، **لكن ينبغي أن نعلم أن الدعاء الذي هو فيصل التفرقة بين التوحيد وبين الشرك**: هو أن يدعو العبد ربه فيما لا يقدر عليه إلا هو، فإن صرفه لله؛ فقد سلم من الشرك، وإن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد وقع في الشرك الأعظم الذي

لا يغفره الله، **مثل ماذا؟** كأن يدعو ميتًا أو يدعو غائبًا أو أن يدعو حاضرًا فيما لا يقدر عليه ذلك الحاضر، **هذه ثلاثة أنواع:**

- **النوع الأول:** أن يدعو ميتًا، {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } [فاطر: 14].
- **النوع الثاني:** أن يدعو غائبًا غير موجود، كيف تناجي غير موجود؟!.
- **النوع الثالث:** أن يدعو حاضرًا لكن ليس من شأنه ذلك ،كأن يقول له: يا فلان ارزقني، يا فلان اشفني، يافلان فهو لا يملك ذلك.

فهذه الصور الثلاث صور مخرجة من التوحيد مدخلة في الشرك، أما إن دعا غير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير؛ فهذا ليس بشرك، فإذا دعا واحدًا من الناس في أمر من الأمور التي يقدر عليها فلا حرج، لو قال لرجل بين يديه طعام: يا فلان أطعمني ليس شركًا، لو قال لرجل : يا فلان أسقني ليس شركًا.

إذن صار الشرك هو ما يتناول الصور التي ذكرنا: وهو أن يدعو ميتًا، أو أن يدعو غائبًا، أو أن يدعو حاضرًا في أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

وينبغي أن نعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة أيهما أشهر؟ الثاني دعاء المسألة، وهو طلب حصول الحاجات، وتحقيق الرغبات، فهذا كثير في بني آدم أن يدعو الإنسان بالرزق بالصحة بالذرية بالرفعة بأي أمر من الأمور، **هذا يسمى: دعاء مسألة.**

النوع الثاني: دعاء العبادة، وهو أن يتقرب لله عز وجل بما أوجب عليه من الطاعات، يرجو بذلك ثوابه ويخشى عقابه، أو أن يتملق إلهه و معبوده بالثناء عليه دون أن يذكر مسألة، كيف ذلك؟ حينما يمتثل أمر الله ويجتنب نهيه مستصحبًا أنه يرجو بذلك أن يبلغه جنته، أو أن يصرف عنه عذابه، أو أن يصلح حاله ويدفع عنه السوء، فهذا وإن لم يدعُ بمسألة فهو دعاء عبادة ؛ لأنه يعلم أن الله تعالى نصب هذه العبادات سببًا موصلًا إلى الحياة الطيبة في الدنيا وإلى الفوز بالجنة في الآخرة.

الصورة الثانية لدعاء العبادة: أن يُثني على الله تعالى بما هو أهله من صفات الكمال ونعوت الجلال كما كان النبي صلى الله عليه وسلميقوم في صلاة الليل فيقول: [اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم الأرض السماوات ومن فيهن، ولك الحمد أنت فاطر السماوات والأرض ومن فيهن]، هل سأل شيئًا؟ هل طلب شيئًا؟ كلا لكنه يناجي ربه، ويثني عليه بما هو أهله: هذا عبادة، ودعاء عبادة وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } [الأعراف: 180]، ودل هذا أيضًا على أنه ينبغي للداعي أن يدعو الله تعالى بالاسم المناسب للطلب، فإذا كنت تريد من الله تعالى أن يعفو عنك، ما الذي ينبغي أن تقول؟ هل يستقيم أن تقول: يا ذا البطش الشديد اعفو عني؟ لا يستقيم، ولكن قل: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني، إذا أردت من الله الرزق، تقول: يا رزاق ارزقني، وهكذا فاختر الاسم المناسب للطلب المناسب، ولهذا أنعم الله تعالى علينا بتسعة وتسعين

اسمًا يمكن إدراكها واستخلاصها من نصوص الكتاب والسنة لكي ندعو الله تعالى بها، فالدعاء عبادة من أجل العبادات لمن تذوقه ووفق إليه حتى أن من يدعو الله عز وجل من العارفين بالله عز وجل؛ يجد لذة ونعيمًا في مناجاة ربه في الأسحار وفي السجدات، ويتبين لنا سوء حال كثير من الناس الذين ابتلوا بدعاء غير الله، وهذا أمر –وللأسف– وقع لفئام من المسلمين حيث زين لهم الشيطان عن طريق مشايخ السوء وسريرة الأموات المنتفعين بها أن ينصبوا القباب والمشاهد على هذه القبور وغيرها، ويغروا هؤلاء العوام بدعائها وترك دعاء الله عز وجل، واعلموا أنه لا شيء أكرم على الله من الدعاء، **وأنه ما من عبد يدعو الله في الأرض دعوة إلا أعطاه بها أحد ثلاث خصال:**

- إما أن يعجل له دعوته.
- وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها.
- وإما أن يدخرها له أحوج ما يكون إليها. فلا يضيع على الله دعاء.

وقد قيل : اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ، عجيب أليس الأمر كذلك؟!، الآدمي إذا دعوته مرة مرتين تبرم منك وتضايق، الله تعالى لو تركت دعائه لغضب عليك كما جاء ذلك في الحديث.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.